الفصل الثالث

التحكيم

التحكيم

تم الاتفاق بين الطرفين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين، وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية عمرو ابن العاص، ووكل علي أبا موسى الأشعري، رضي الله عنهم جميعاً، وكتب بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقراجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧ هـ، وقد رأى قسم من جيش علي ﷺ أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي ﷺ إليهم ابن عباس، رضي الله عنهما، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم علي ﷺ بنفسه فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي ﷺ حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصاً أبا موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة، ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص ﷺ، بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل كثير من المسلمين.

وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها، وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه [١].

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص (٣٧٨)، تنزيه خال المؤمنين معاوية: ص (٣٨).

أولاً : سيرة أبي موسى الأشعري :

هو عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب ، الإمام الكبير ، صاحب رسول الله ﷺ ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ [١] وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً ، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص ، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة [٢] ، وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله . وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم ، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو و جماعة قاصداً النبي ﷺ بخيبر . . . ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم فبعثه النبى ﷺ مع من بعث إلى الحبشة ، فتوجه إلى بلاد قومه ، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي ، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة ، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد [٣] .

١ – أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

أ – لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي: عن ابي موسى ، قال خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا ، وأبو رهم ، وأبو عامر ، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي ، وعند جعفر وأصحابه ، فأقبلنا حين افتتحت خيبر ، فقال رسول الله ﷺ : «**لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي**» [٤] ، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم**» . فقدم الأشعريون ، فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة ::: محمداً وصحبه

فلما قدموا تصافحوا ، فكانوا أول من أحدث المصافحة [٥] .

ب – هم قومك يا أبا موسى: عن عياض الأشعري قال: لما نزلت: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة: ٥٤] . قال رسول الله: «**هم قومك يا أبا موسى**» وأومأ إليه [٦] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨١) .
(٢) الطبقات (٤ / ١٠٧) .
(٣) فتح الباري (٧ / ١٨٩) .
(٤) مسلم رقم (٢٥٠٢)
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٤) ، إسناده صحيح
(٦) المستدرك (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم وثقه الذهبي ، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٢٣٨) .

جـ – اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دريد، وهزم الله أصحابه، فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته [١]. فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولى ذاهبا، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربياً؟ ألا تثبت؟ قال: فكف، فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم. فنزعه فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له يستغفر لي.. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «**اللهم اغفر لعبيد بن أبي عامر**». حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**». فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريما**» [٢].

د – إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما: عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة [٣] فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال: أبشر. قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله علي وعلى بلال. فقال: ((إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما)). فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، وحج فيه، ثم قال: ((اشربا منه وأفرغا على رءوسكما ونحوركما))، ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: إن فضلا لأمكما، فأفضلا لها منه [٤].

هـ – لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود: عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «**يا بريدة أتراه يرائي؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزماراً من مزامير آل دواد**». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري، فأخبرته [٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٥)

(٢) مسلم، رقم (٢٤٩٨).

(٣) الجعرانة بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة

(٤) مسلم، رقم (٢٤٩٧).

(٥) مسلم، رقم (٧٩٣). مجمع الزوائد (٩ / ٣٥٨).

و – يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟: عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقب، فإذا أصعد الرجل قال: لا إلا إلا الله، والله أكبر – أحسبه قال: بأعلى صوته – ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «**أيها الناس، إنكم لا تنادون أصم ولا غائباً**»، ثم قال: «**يا عبد الله بن قيس – أو يا أبا موسى – ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟**» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**» [١].

ز – يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا: استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن [٢] وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن، قال لهما: «**يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا**»، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شراباً، يصنع من العسل يقال له التبغ، ومن الشعير يقال له: المزر، قال: «**كل مسكر حرام**»، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائماً وقاعداً، أتفوقه تفوقاً، يعني شيئاً بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذاً فضل عليه [٣].

٢ – مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائداً للجيوش في فتح قم وقاشان [٤]، وموقعة تستر [٥]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها [٦]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان بينهما مراسلات، وكان أبو موسى ﷺ قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى ﷺ، من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة ﷺ، كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفقههم.

---

(١) مسلم، رقم (٢٧٠٤).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص (٩٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٣٢٦)
(٣) مسلم، رقم (١٧٣٣)، البخاري (٤٣٤٤)
(٤) البداية والنهاية (٧ / ١١٤)
(٥) البداية والنهاية (٧ / ٨٨)
(٦) تفسير التابعين (١ / ٤٣٣).

وقد كان ﷺ كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبو موسى [١]، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر، رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى ﷺ أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدث طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة [٢].

وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعليم كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين [٣]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك، بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلم من الصلاة استقبل ﷺ الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم [٤].

واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر ﷺ إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن [٥]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل ﷺ كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٩).
(٢) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز، ص: (١٢١).
(٣) الطبقات (٤/ ١٠٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٩٨).
(٥) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم، ص(١٢٣٥، ١٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

فقسمهم إلى مجموعات وحلق ، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم [١] ، فكان القرآن الكريم شغله الشاغل ﷺ ، صرف له معظم أوقاته في حله وفي سفره ، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر ﷺ ، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن ، فقال: أما إنه كيس [٢] ، ولا تسمعها إياه[٣] حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه ، فعن حطاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري ﷺ في جيش على ساحل دجلة ، إذ حضرت الصلاة ، فنادى مناديه للظهر ، فقام الناس للضوء ، فتوضأ ثم صلى بهم ، ثم جلسوا حلقاً ، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر ، فهب الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث .

وأثمرت جهوده العلمية ﷺ ، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه ، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة ، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم ، فكتب إلى أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجل [٤] ، واهتم أبو موسى ﷺ بتعليم السنة وروايتها ، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين .

قال الذهبي - رحمه الله -: حدث عنه بريدة بن الحصيب ، وأبو أمامة الباهلي ، وأبو سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، وطارق بن شهاب ، وسعيد بن المسيب ، والأسود بن يزيد ، وأبو وائل شقيق بن سلمة ، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم [٥] ، وكان ﷺ شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دل على ذلك من سيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته ، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر ﷺ من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة ﷺ ، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه ، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير ، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا ، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً ، فتعال فلنذكر ربنا ساعة ، ثم قال: ما ثبر الناس - ما بطأ بهم -؟

---

(١) المصدر نفسه ص: (١٢٧) ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٩) .
(٢) الطبقات (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات ، كيس: عاقل فطن .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٩٠) .
(٤) أبو موسى الأشعري ص (١٢٩) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨١) .

قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدلوا [١]. ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد موقعة تستر، أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم علي عمر بصاحبها الهرمزان [٢].

٣ - ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنه: يعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجالس الإمارة ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: (أما بعد، فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها) [٣].

وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحي إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية [٤].

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري - رحمه الله - فقال: ما قدمها راكب خير

---

(١) أنس بن مالك الخادم الأمين، وعبد الحميد طهماز، ص: (١٣٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥ / ٦٦).
(٣) مناقب عمر لابن الجوزي، ص (١٣٠)
(٤) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

لأهلها من أبي موسى [١] ، إذ أن أبا موسى - رحمه الله - كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها ، حيث علمهم القرآن وأمور الدين المختلفة [٢] ، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس - والتي فتحت في زمنه - تخضع للبصرة ، وتدار من قبل ولي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله ، ويرتبطون بها ارتباطا مباشراً .

وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته ، وبينت ملامح أسلوبه في التعامل معهم [٣] ، وقد أوصى عمر ﷺ في وصيته للخليفة من بعده ألا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقر الأشعري أربع سنين [٤] ، وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجاً ومثالاً يفيد كل قاض ، بل وكل إداري ، في كل زمان ومكان [٥] ، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم ، والشهادة ، والمفتي أحوج شيء إليه وتأمله والتفقه فيه [٦] ، كما تولى الولاية في عهد عثمان واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضاً ، ولما قتل عثمان كان والياً على الكوفة ، ولما تولى علي ﷺ الخلافة ، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة ، إذ كان والياً عليها لعثمان بن عفان ﷺ ، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين ، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة [٧] .

إن حياة أبي موسى ﷺ ، منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم ، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته والجهاد في سبيل الله والحرص عليه ، والفصل في الخصومات ، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة ، ولا شك أن هذه المهام صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة ، والحذق والورع

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٨٩) .
(٢) الولاية على البلدان (١ / ١٢٠) .
(٣) المصدر نفسه (١ / ١٢٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٩١)
(٥) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد و ص: (٢٦٢) .
(٦) أعلام الموقعين (١ / ١٨٦) .
(٧) فتح الباري (١٣ / ٥٣) . ، التاريخ الصغير (١١ / ١٠٩) .

والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم [١]، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ، ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويها قصة التحكيم؟! [٢].

إن اختيار أبي موسى ﷺ حكماً عن أهل العراق من قبل علي ﷺ وأصحابه ينسجم تماماً مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوباً، مؤتمنا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن علياً هو الذي اختار أبا موسى الأشعري يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة ٣٧هـ - اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري، من قبل علي، وعمرو بن العاص من قبل معاوية [٣]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى، وحكم معاوية عمرو بن العاص [٤]، ولهذا يمكن القول عن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسئولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبي موسى حكماً ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر علي ﷺ بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، ومن جهة أخرى يحملون المسئولية لأعدائهم من الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا علياً على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم [٥].

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالباً إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص للتشويه، والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لزاماً علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الذكية، وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص: (٢٦٢ ٩.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ٢٢٧).

(٣) تاريخ خليفة، ص (١٩١، ١٩٢٥).

(٤) الطبقات (٣ / ٣٢)

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢١٥).

ثانياً : سيرة عمرو بن العاص ﷺ :

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله ، ويتفق ابن إسحاق [١] والزبير ابن بكار [٢] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة ، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة ، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثماني قبل الفتح ، وقيل: بين الحديبية وخيبر [٣].

١ – **إسلامه**: نترك عمرو بن العاص ﷺ يحدثنا عن إسلامه ، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خيراً ، قالوا: إن هذا الرأي ، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [٤] ، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو ابن أمية الضمري .

وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ، قال: فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو دخلت على النجاشي ، وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزأت عنها [٥] ، حيث قتلت رسول محمد ، قال: فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال: مرحبا صديقي أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: نعم أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال: أتسألني أن

---

(١) المعجم الكبير للطبراني(٩ / ٥٣) . أرسلها ابن إسحاق .
(٢) الإصابة (٣/ ٢) خلافة علي ، عبد الحميد ، ص (٢٦٣) .
(٣) تهذيب التهذيب (٨ / ٥٦)
(٤) الأدم: الجلد .
(٥) أجزأت عنها: كفيتها .

أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟ قال: قلت: أيها الملك أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة، فقلت أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم [١]، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم فحتى متى؟ فقال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله ﷺ إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر قال: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها**»، قال: فبايعته ثم انصرفت [٢].

وفي رواية قال: . . . . فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «**ما لك يا عمرو؟**» قال: قلت: أردت أن أشتطر. قال: «**تشترط بماذا؟**» قلت: أن يغفر لي. قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**» [٣].

٢ - عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧ هـ:

جهز النبي ﷺ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاعة التي غرها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح [٤]، وقاتل المسلمون الكفار، وتوغل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين

---

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٢) صحيح السيرة النبوية، ص (٤٩٤)، سير أعلام النبلاء ٣٠ / ٩٦٠، والسيرة لابن هشام (٢ / ٢٧٦).

(٣) مسلم، كتاب الإيمان رقم (١٢١).

(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢ / ٤٧١)، السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٢٨٠).

وإسلام الكثيرين من بني عبس ، وبني مرة ، وبني ذبيان ، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين ، وتبعها بنو سليم ، وعلى رأسهم العباس بن مرداس ، وبنو أشجع ، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب ، وإن لم يكن في البلاد جميعها[١] ، وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ – إخلاص عمرو بن العاص:

يقول عمرو: بعث إلي رسول الله ﷺ فقال: «**خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني**» فأتيته وهو يتوضأ ، فصعد في النظر ثم طأطأ ، فقال: «**إني أريد أن أبعثك على جيش**[٢]، **فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة**» ، قال ، قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ . قال: «**يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح**» [٣] .

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ ، وقد بين له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح ، لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين ، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر ، ويعف به نفسه وأسرته[٤] ، ويغني به المسلمين .

ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ﷺ ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث فهو أيضاً مطلوب ومحمود ، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين .

ب – حرص عمرو على سلامة قواته: بعث رسول الله ﷺ عمراً في غزوة ذات السلاسل ، فأصابهم برد ، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نار ، فلما قدم شكوه ، قال: يا نبي الله ، كان فيهم قلة ، فخشيت أن يرى العدو قلتهم ، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢ / ٤٣٣) ، السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٨٠) .
(٢) جيش: سرية ذات السلاسل .
(٣) رواه بن حبان في الموارد (٢٢٧٧) ، صحيح السيرة ص (١٠٨) صححه الألباني .
(٤) التاريخ الإسلامي للحميدي (٧ / ١٣٣)

لهم كمين، فأعجب ذلك رسول الله [١].

جـ - من فقه عمرو بن العاص ﷺ: قال عمرو بن العاص ﷺ: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾ [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً[٢].

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله [٣]، ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا [٤] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادراً على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمضي على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو - وهذا احتمال وارد - على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكن أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام [٥].

٣ - فضائله ومناقبه:

أ - شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان: قال رسول الله ﷺ: «**أسلم الناس وآمن الناس عمرو بن العاص**» [٦]، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**» [٧]، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبي ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالماً احتبى سيفاً فجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآني وسالماً، وأتى الناس فقال: «**أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم**

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٦٦)

(٢) المصدر نفسه (٣ / ٦٧) إسناده صحيح، صححه ابن حبان رقم (٢٠٢).

(٣) غزوة الحديبية لأبي فارس ص (٢١٠).

(٤) معين السيرة ص (٣٨١)، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة.

(٥) المصدر نفسه، ص (٣٨١) مسند أحمد (١ / ٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٢٣٨) و رقم (١٥٥) وحسنه.

(٧) الطبقات (٤ / ١٩١)، السلسلة الصحيحة (١ / ٢٤٠) رقم (١٥٦)

ما فعل هذان الرجلان؟» [١] .

ب - تقديم رسول الله ﷺ لـه على غيره، وشهادته لـه بأنه من صالحي قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص ﷺ قوله: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حرب [٢] . وشهد له رسول الله ﷺ بأنه من صالحي قريش ، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن عمرو بن العاص من صالحي قريش**» [٣] . وهنا درس نبوي في معرفة النبي ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها .

جـ - دعاء رسول الله ﷺ لـه: عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بن رمثة البلوي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين ثم نعس رسول الله ﷺ ثم استيقظ فقال: «**رحم الله عمراً**» . فتذاكرنا من اسمه عمرو ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: «**رحم الله عمراً**» ثم نعس ثالثة فاستيقظ فقال: «**يرحم الله عمراً**» . قلنا من عمرو يا رسول الله؟ قال: «**عمرو بن العاص**» قلنا: وما باله؟ قال: «**ذكرته إني كنت إذ ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيراً كثيراً**» . قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت أتبع هذا ، قال فيه رسول الله ما قال ، فلم أفارقه [٤] .

٤ - أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمراً إلى دعوة ابني الجلندي (جيفر ، وعباد) إلى الإسلام ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبي ﷺ وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم ، وكان له عوناً على من خالفه [٥] ، وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجه الصديق عمرو ابن العاص بجيش إلى فلسطين وكان الصديق خيره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله ﷺ وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة ، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه ، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها

---

(١) مسند أحمد (٢٠٣) بسند حسن .

(٢) سنن البيهقي باب إسلام عمرو بن العاص (٤ / ٤٣) .

(٣) سنن الترمذي كتاب المناقب ، باب مناقب عمرو بن العاص رقم (٣٨٤٤) .

(٤) المعجم الكبير (١٨ / ٥) المستدرك (٣ / ٤٥٥)صححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن .

(٥) الطبقات (١ / ٢٦٢) جوامع السيرة لابن حزم ، ص (٢٤ ، ٢٩)

والجمع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضها فارم به [١].

فلما قدم المدينة أمره أبو بكر ﷺ أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس.. ثم أرسله بجيش إلى الشام [٢]. وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين.

وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[٣]، كما قام ﷺ بفتح غزة واللد، ويبنى، وعمواس، وبيت جبرين ويافا ورفح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو ﷺ على فتح بلاد الشام وحدها بل شمل أيضاً مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب ﷺ أصدر أمره إلى عمرو بن العاص ﷺ بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر فخرج ﷺ حتى وصل إلى العريش ففتحها و كما شملت حركة الفتح أيضاً الفرما، والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخمين، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونه، ودقهلة، والإسكندرية، وبلاداً إفريقية مثل برقة وزويلة وطرابلس[٤]، وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً [٥].

وكان في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله [٦]، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان ﷺ وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمان ﷺ وغفر له، فقال سلامة بن ذنباع الجزامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذا كسر الباب،

---

(١) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء و ص (٥٥).
(٢) فتوح الشام للأسدي، ص (٤٨ - ٥١).
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥)، الكامل لابن الأثير (٢ / ٤٩٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣ / ٧٠)، القيادة العسكرية في عهد الرسول ص (٦٣٤ - ٩٤٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٣ / ٧٠).
(٦) تاريخ الطبري نقلا عن عمرو بن العاص للغضبان، ص: (٤٦٤).

فقال عمرو وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف [١] ، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء ، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسي على مالك ::: وهل يصرف مالك حفظ القدر
أنزع من الحر [٢] أودى رهم ::: فأعذرهم أم بقومي سكر

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه أنعي الحياء والدين حتى قدم دمشق [٣] .

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو ﷺ والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان ، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة ، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب [٤] ، وقد تأثرت بالروايات الضعيفة السقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين ، فأهووا بعمرو إلى الحضيض ، كالذي كتبه محمود شيت خطاب [٥] ، وعبد الخالق سيد أبو رابية [٦] ، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه ، ويظهر له صورة معاوية وعمرو ﷺ بأنهما: . . . انتهازيان صاحبا مصالح .

ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله ، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً ، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: . . وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الخوار ، وصحة هذه الكلمات ، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده ، ولا نصه ، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية ، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل إلى كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق [٧] .

إن شخصية عمرو الحقيقية أنه رجل مبادئ ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان ، وبكى عليه بكاءً مراً حين قتل ، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولاية ، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما ، يتعاونان معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة

---

(١) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب .
(٢) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة .
(٣) تاريخ الطبري نقلا عن عمرو بن العاص ، ص: (٤٦٤) .
(٤) عمرو بن العاص للغضبان ، ص (٤٨١) .
(٥) سفراء النبي ﷺ . محمود شيت خطاب ، ص (٥٠٨) .
(٦) عمرو بن العاص ، عبد الخالق أبو رابية ص (٣١٦) .
(٧) للعقاد ص (٢٣١ ، ٢٣٢) .

الشهيد [١]، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا على حرم رسول الله ﷺ وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً همه السلطة والحكم [٢].

ثالثاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢- قضية علىّ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣- إنا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيى ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرا وحاكماً.

٥- على أن علياً ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إماماً ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

٧- وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يعدوا الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة

---

(١) عمرو بن العاص للغضبان ص (٤٨٩، ٤٩٠).

(٢) عمرو بن العاص للغضبان ص (٤٩٢).

أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله .

٨- فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح ، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق .

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية ، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله .

١٠- وقدوقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح .

١١- وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب ، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين ، والله أقرب شهيد وكفى بالله شهيداً ، فإن خالفا وتعديا فالأمة بريئة من حكمهما ، ولا عهد لهما ولا ذمة .

١٢- والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل ، والسلاح موضوعة ، والسبل آمنة ، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر .

١٣- وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام .

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن تراض منهما .

١٥- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان فإن رأي الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخراها .

١٦- فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل ، فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب .

١٧- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر ، وهم جميعاً يد واحدة على ما أراد في هذا الأمر إلحاداً أو ظلماً أو خلافاً .

وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين ، ابنا علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والأشعث بن قيس الكندي ، والأشتر بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهمداني ، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب ، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري ، وعبد الله بن خباب بن الأرت وسهل بن حنيف ، وأبو بشر بن عمر الأنصاري ، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب ، ويزيد بن عبد الله الأسلمي ، وعقبة بن عامر الجهني ، ورافع بن خديج الأنصاري ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، والنعمان بن عجلان الأنصاري ،

وحجر بن عدي الكندي ، ويزيد بن حجية الكندي ، ومالك بن كعب الهمداني وربيعة بن شرحبيل ، والحارث بن مالك ، وحجر بن يزيد ، وعلبه بن حجية ، ومن أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري ، وأبو الأعور السلمي ، وبسر بن أرطأة القرشي ، ومعاوية بن خديج الكندي ، والمخارق بن الحارث الزبيدي ، ومسلم بن عمرو السكسي ، وعبد الله بن خالد بن الوليد ، وحمزة بن مالك ، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسى ، ومسروق ابن جبلة العكي ، ويسر بن يزيد الحميري ، وعبد الله بن عامر القرشي ، وعتبة بن أبي سفيان ، ومحمد بن أبي سفيان ، ومحمد ابن عمرو بن العاص ، وعمار بن الأحوص الكلبي ، ومسعدة بن عمرو العتبي ، والصباح بن جلهمة الحميري ، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع ، وتهامة بن حوشب وعلقمة بن حكم ، كتب يوم الأربعاء لثلاث عشر ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين [١] .

رابعاً : قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه :

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم ، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها ، فهم بين مطيل في سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها ، وقلما تجد أحد وقف عندها فاحصاً مدققاً ، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجملاً وإن كان غير مفصل ، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص ، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي ، بل هي باطلة من عدة وجوه[٢] .

١ - أن جميع طرقها ضعيفة: وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلاً قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم ، ودعوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراق ، فعند ذلك حكموا الحكمين ، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان ، فاشترطا أن يرفع ما رفع القرآن ، ويخفضا ما خفض القرآن ، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، فلما انصرف علي خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فآذنوه بالحرب ، وردوا عليه: أن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل ، وقالوا: لا حكم إلا حكم الله سبحانه ، وقاتلوا ، فلما اجتمع الحكمان بأذرح ، وافاهم المغيرة بن

---

(١) انظر: الوثائق السياسية ، ص (٥٣٧ ، ٥٣٨) ، الأخبار الطوال للدينوري ، ص (١٩٦ - ١٩٩) وأنساب الأشراف (١ / ٣٨٢) ، تاريخ الطبري (٥ / ٦٦٥ - ٦٦٦) ، البداية والنهاية (٧ / ٢٧٦ - ٢٧٧) .

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص (٤٠٤) .

شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهما في رجال كثير ، ووافى معاوية بأهل الشام ، وأبى علي وأهل العراق أن يوافقوا فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما ، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله ، أخبرني عما أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزلة ، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال ، ورأينا أن نستأتي ونتثبت حتى تجتمع الأمة ، قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار ، وأمام الفجار ، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، حتى دخل على أبي موسى فقال له ما قال لعمرو فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً ، فيكم بقية المسلمين ، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش ، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد .

فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغدرهم ، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا ، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى ، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى ، قال عمرو: يا أبا موسى ، أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي ، فإن أقدر على أن أتابعك فلك على أن أتابعك وإلا فلي عليك أن تتابعني ، قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا ، ثم خرجا إلى الناس ، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو ومثل الذين قال الله عز وجل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٥] .

فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] . وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار [١] . والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة ، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة [٢] ، كما قرر العلماء .

---

(١) المصنف (٥ / ٤٦٣) ، مرويات تاريخ الطبري ، ص (٤٠٦) .

(٢) المراسيل لأبي حاتم ، ص (٣) الجرح والتعديل ، ص (١ / ٢٤٦) .

وهناك طرق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث [١]، وفي سنده أيضاً الواقدي وهو متروك [٢]، وهذا نصها: . . رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظران في أمور الناس فيرضون بحكمهما، فحكم عليّ أبي موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه.

ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع علي ومعاوية ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين [٣].

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى، ضعيف ليس بثقة [٤]، وإخباري تالف غالي في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان [٥] ضعيفاً، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيى القطان يضعفه [٦]، وقال عثمان الدارمي: ضعيف [٧]، وقال النسائي: ضعيف [٨].

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفمثل هذا تقوم به حجة؟ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢ / ٢٧)، مرويات تاريخ الطبري، ص ٤٠٦.
(٢) مرويات تاريخ الطبري، ص ٤٠٦.
(٣) تاريخ دمشق (١٦ / ٥٣).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٢٢٣).
(٥) مرويات أبي مخنف، ص (٤٠٧).
(٦) التاريخ الكبير (٤ / ٢ / ٢٦٧)، الجرح والتعديل (٩ / ١٣٨).
(٧) التاريخ للدارمي، ص (٢٣٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ٢٢٣).
(٨) الضعفاء والمتروكون، ص (٢٥٣)

وعهد الخلفاء الراشدين ، عصر القدوة والأسوة ، ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطرابات في متونها لكفاها ضعفاً فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها [١] .

٢ - **أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع**، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح ، ومن المحال ان يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها [٢] .

٣ - **وردت رواية تنقض تلك الروايات تماماً**: وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه المختصر بسند رجاله ثقات ، وأخرجه ابن عساكر معلولاً ، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بغلني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو ، وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا ، ولا والله ما كان ما قالوا ، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغني عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما [٣] .

وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه ، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر ، وخوفه من الأحداث بعدهما ، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما ، لقد غبنا وأخطآ أو نقص رأيهما ، والله ما كانا مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي ، ووالله ما جاءنا الوهن والضعف إلا من قبلنا [٤] .

٤ - **إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه**: فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي ، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند صحيح [٥] عن أبي موسى الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة ، أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطالب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له ، فأتوا علياً

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص (٤٠٨) .
(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص (٤٠٨) .
(٣) التاريخ الكبير (٥ / ٣٩٨) .
(٤) العواصم من القواصم ، ص (١٧٨ - ١٨٠) .
(٥) فتح الباري (١٣ / ٨٦) .

فكلموه فلم يدفعهم إليه [١].

فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية، رضى الله عنهما، فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله [٢]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط [٣]، وفهم الخلاف على هذه الصورة - وهى صورته الحقيقية - بين إلى أي مدى تخطئ الروايات السّابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين في الحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان وليس هذا من أمر الخلافة في شيء فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قرارا في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جداً [٤].

٥ - إن الشروط التي يجب توافرها فى الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشياً [٥]، وقد توافرت هذه الشروط في علي ﷺ، فهل بيعته منعقدةأم لا؟ فإن كانت منعقدة - ولا شك في ذلك - وقد بايعه المهاجرون والأنصار، أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه بأن (الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله، من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٤٠).

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٩).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٦٠).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ٢٢٥).

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي، الأحكام السلطانية لأبي يعلي، ص (٢٠)، غياث الأمم، ص (٧٩)، وما بعدها.

طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى) [١].

وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات، كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي ﷺ فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات ﷺ شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل والجد والبر والتقوى والخير [٢].

٦ - إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة: وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة، لا شك أن الأحوال ستزداد سوءا، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلا.

٧ - إن عمر بن الخطاب ﷺ حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره [٣].

٨ - أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي [٤]، أعلم الناس بأمر الشام [٥] أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين [٦].

---

(١) غياث الأمم، ص (١٢٨)، مرويات أبي مخنف، ص (٤١٠).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ٢٣٨).
(٣) مرويات أبي مخنف، ص (٤١١).
(٤) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام، التقريب.
(٥) تهذيب التهذيب (٤ / ٦٠).
(٦) تاريخ الطبري (٦ / ٧٦).

فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي ، وإلى هذا ذهب الطبري فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء [١] ، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع [٢] ، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي ﷺ فإن فضل علي وسابقته وعلمه ، ودينه ، وشجاعته ، وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة ومعروفة ، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر ، وعثمان وغيرهم ﷺ [٣] ، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول ، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**» [٤] ، والنصوص في هذا المعنى كثيرة [٥] .

ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك [٦] .

٩ – أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة ، فلم تدعه حتى ذهب ، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن الحق به منه ومن أبيه ، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان . قال حبيب حفظت وعصمت [٧] ، هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة ، وليس فيه تصريح بذلك ، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي ﷺ **وقال ابن الجوزي**: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده ، ويرى ابن حجر أنها في التحكيم [٨]: دلالة النص على القولين الأولين أقوى .

---

(١) تاريخ الطبري (٦ / ٧٦) .
(٢) البداية والنهاية (٨ / ١٦) .
(٣) الفتاوى (٣٥ / ٧٣) .
(٤) صحيح مسلم (٣ / ١٤٨٠) .
(٥) سنن البيهقي (٨ / ١٤٤) .
(٦) مرويات أبي مخنف ، ص (٤١٢) .
(٧) البخاري (٥ / ٤٨) .
(٨) فتح الباري (٧ / ٤٦٦) .

فقـولـه: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم . . دليل على اجتماع الكلمة على معاوية وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف [١] .

١٠ – حقيقة قرار التحكيم: لـيس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمـة وإلى أهـل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان ، ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة ، ولا منكراً حق علي فيها ، كم تقرر سابقاً ، وإنما كان ممتنعا عـن بيعـته ، وعـن تنفـيذ أوامـره في الـشام حـيث كـان متغلـباً عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون ، مستفيدا من طاعة الناس لـه بعد أن بقي واليا فيها زهاء عشرين سنة [٢] .

وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين): قال أبـو بكـر محمـد الطـيب الأشعري الباقلاني – في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلـع – علي بن أبي طالب – وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والـسنة المجـتمع عليهما يوجبان خلعه ، أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة .

ونص كتاب علي – عليه السلام – اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل مـن فاتحـته إلى خاتمـته لا يجـاوزان ذلـك ولا يحـيدان عنه ، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان ، وأخذ علـيهما أغلـظ العهـود والمواثـيق ، وإن همـا جـاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما . . والكتاب والـسنة يثبـتان إمامـته ، ويعظمانـه ويثنيان عليه ، ويـشهدان بصدقه وعدالته ، وإمامته وسابقته في الـدين ، وعظـيم جهـاده في جهـاد المـشركين وقرابته من سيد المرسلين ، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم ، ووفور الحلم ، وأنه حقيق بالإمامة ، وأهل لحمل أعباء الخلافة [٣] .

١١ – مكـــان انعقـــاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين – كما جاء في الوثـيقة – في رمضان في عام سبعة وثلاثين هجرية ، إذا لم تحدث عوائق في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل [٤] ، في روايات موثقة ، وأذرح [٥] ، في روايـات أخـرى دونهـا في الإتقـان ، ولعـل لقـرب المكـانين مـن بعـضهما أثرا في اختلاف

---

(١) مرويات أبي مخنف .
(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ١٣٤) .
(٣) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين ، ص (١٧٧) .
(٤) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية .
(٥) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء .

الروايات ، إذ يقول خليفة بن خياط [١]: ويقال بأذرح وهي من دومة الجندل قريب ، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق [٢] .

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح ، واستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها وبالأشعار ، وبخاصة شعر ذي الرمة [٣] في مدح بلال بن أبي بردة [٤] وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ::: تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر
فشد إصار الدين أيام أذرح ::: ورد حروباً قد لقحن إلى عقر [٥]

١٢ - هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟ اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد ، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين ، وفد عن أهل العراق ، والآخر يمثل أهل الشام ، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم ، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء سعد بن أبي وقاص ﷺ ، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به [٦] . فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما أتاه قال: يا أبة ، أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي**» [٧] .

خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعا مسئولياتهم ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق ، على الطرفين المتنازعين ، لكي يوقفا بينهما القتال ، ويلجآ للتحكيم الشرعي في الإسلام فيرسل هذا الطرف حكماً من قبله ، وذلك حكماً آخر من قبله

---

(١) تاريخ خليفة ، ص (١٩١ ، ١٩٢) .
(٢) خلافة علي بن ابي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٦٧) .
(٣) ذو الرمة ، غيلان بن عقبة توفي ١١٧ هـ ، سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٦٧)
(٤) بلال بن أبي بردة ، عامر ابن أبي موسى الأشعري ، تهذيب تاريخ دمشق (٣ / ٣٢١)
(٥) ديوان ذي الرمة ص (٣٦١ ، ٣٦٢) نقلا عن خلافة علي ص (٢٧٢) .
(٦) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص (٢٧٢) .
(٧) المسند (١ / ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣ / ٢٦) ، خلافة علي بن أبي طالب للسلمي ، ص (١٠٧)

أيضاً ، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١ - تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لابد منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع .

٢ - جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول التي تفصل في مسائل النزاع .

٣ - أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع ، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الراهن على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام ، وأن الخروج عليها ، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعاً .

٤ - إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام ، وحلول وانقاد لها الطرفان المتنازعان قضي الأمر وكفى الله المؤمنين القتال .

٥ - إذا رفض أحد الطرفين أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين ، اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي ، سواء صدر الرفض من أحدهما أو من كليهما ، ووجب شرعاً على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية ، من أجل التدخل لحل النزاع بالقوة ، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم .

٦ - ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى ، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[١] .

ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أن بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل . . ومن ثم تستغل هذه الفرصة لكي تتآمر على المسلمين فتعمل على تصعيد تلك النزاعات ، وفرض الحل الذي يحلو لها ، ويكون فيه مصلحتها فقط ، وليعاني المسلمون بعد إذن من آثار ذلك الحل أسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها ، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء ، لا ، بل إن هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحل المشئوم ، قلنا لعل اللجوء إلى التحكيم على نحو ما سلف بيانه يسد الطريق

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣ / ١٦٦٥)

في وجه تلك القوى الخارجية التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد، هذا وإن الصفة الإلزامية شرعاً للحل عن طريق التحكيم الذي عرضناه تستند إلى إجماع الصحابة فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين[١].

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام ﷺ هو الإمساك عما شجر بينهم إلا في ما يليق بهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضى عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ غير أن صواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال بما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي[٢]:

١ - قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله - عز وجل - مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانا حقيقيا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد[٣].

٢ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣ / ١٦٦٥)

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢ / ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، ص (٤١)

(٣) العواصم من القواصم، ص (١٦٩، ١٧٠) أحكام القرآن(٤ / ١٧١٧).

مـن المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» [١] ، والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان مـن الاخـتلاف بـين علـي ومعاويـة رضـي الله عنهما وقد وصف ﷺ الطائفتين نعم بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق ، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر بـه عليـه الـصلاة والـسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق لا كما يـزعمه فـرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفـتين إلى الحـق ، وهـذا هـو مـذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاويـة مجـتهدا وهـو مأجـور إن شـاء الله ، ولكـن علـيا هـو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» [٢] .

٣ - وعـن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ : «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**» [٣] ففي هذا الحديث شهادة النبي ﷺ بإسـلام الطائفـتين أهـل العـراق وأهل الشام ، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفـروا علـيا ومن معه ، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولـذا كـان يقـول سفيان بن عيينة: قولـه فئتين من المسلمين يعجبنا جدا ، قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهم جميعاً مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان [٤] .

فهـذه الأحاديـث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهـل الـشام الـذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان قد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته [٥] ، كمـا وصـفهم بـأنهم جـميعا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم ، وقد دخلوا تحت عموم قولـه تعـالى ، ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم ﷺ أجمعين ، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون ، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب ﷺ كما مر معنا .

---

(١) مسلم (٧٤٥)

(٢) البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣ / ٣١٨)

(٣) البخاري ، كتاب الفتن رقم (٧١٠٩) .

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص (١٩٨) وفتح الباري (١٣ / ٦٦) .

(٥) في صحيح مسلم (٢ / ٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان .

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام ﷺ مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عن ما حصل بينهم ﷺ، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة، مليئة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها[١]:

١ -- سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها[٢]، قال البيهقي معلقا على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لايعنيه هو الصواب[٣].

٢ -- سئل الحسن البصري عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا[٤]، ومعنى قول الحسن هذا أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين[٥].

٣ -- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾[٦] [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى[٧]، وعن إبراهيم بن آزر الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١].

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢ / ٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان
(٢) الإنصاف للباقلاني، ص (٦٩)، الطبقات (٥ / ٣٩٤)
(٣) مناقب الشافعي ص (١٣٦)
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ٣٣٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ٣٣٢).
(٦) الإنصاف للباقلاني، ص (٦)
(٧) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص (١٦٤).

٤ – وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب [١].

٥ – وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم [٢].

٦ – قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ونعتقد أن عليا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله ﷺ: «**إذ اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل على صحة هذا القول قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» [٣]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لها بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه [٤].

٧ – وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في

---

(١) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني ص (٢٣).
(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص (٢٦٨).
(٣) البخاري، الفتن، رقم (٧١٠٩)
(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧، ٦٩)

مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون [١].

٨ - وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه ﷺ: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضا وأما المصيب فله اجران [٢].

٩ - وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف الحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين [٣].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة ﷺ بعد قتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم ﷺ وأرضاهم [٤].

سابعا: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١ - الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب "الإمامة والسياسة" المنسوب لابن قتيبة ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه "الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي" مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبا وزورا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابا في التاريخ يدعى "الإمامة والسياسة" ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب "المعارف".

- إن المتصفح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف في "الإمامة والسياسة" يختلف تماما عن

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧، ٦٩)

(٢) الباعث الحثيث، ص (١٨٢).

(٣) فتح الباري (١٣ / ٣٤).

(٤) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠)

منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا ، فابن قتيبة يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه ، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمامة والسياسة فمقدمته قصيرة جدا لا تزيد على ثلاثة أسطر ، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب ، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة .

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه ، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة ، توفي سنة ١٤٨ هـ ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمس وستين عاما .

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب .

إن قسماً كبيرا من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيرا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين ، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر ، وحدثنا بعض مشايخ المغرب ، وذكروا عن بعض المشيخة ، وحدثنا بعض المشيخة ، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات أسلوب ابن قتيبة ولم ترد في كتاب من كتبه .

- إن مؤلف "الإمامة والسياسة" يروي عن اثنين من كبار علماء مصر ، وابن قتيبة لم يدخل مصر و لا أخذ عن هذين العالمين[1] .

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة ، وثقة في علمه ودينه ، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه ، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي ، ويقول عنه ابن تيمية: إن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة [2] ، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين ، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب "الإمامة والسياسة" الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم [3]؟!

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه ، عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب الإمامة

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة ، علي العلياني ص (٩٠) .
(٢) لسان الميزان (٣ / ٣٥٧) وتحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٤٤)
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٤٤) .

والسياسة: وبعد قراءتي لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف الإمامة والسياسة رافضي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها ونظرا لكونه معروفا عن الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب [١]، ومما يرجح أن مؤلف الإمامة والسياسة من الروافض ما يلي:

* إن مؤلف الإمامة والسياسة ذكر على لسان علي ﷺ أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم . . . والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله [٢]، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

* إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله ﷺ قدحاً عظيماً فصور ابن عمر ﷺ جبانا وسعد بن أبي وقاص حسودا، وذكر محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر، وأن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان[٣]، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة [٤].

* إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله ﷺ ولم يذكر خرافاته وادعاءه الوحي [٥]، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه [٦].

* إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة فقام

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٧ / ٣٩١).
(٢) الإمامة والسياسة (٢ / ٢١).
(٣) الإمامة والسياسة (١ / ٥٤، ٥٥).
(٤) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩١) للعلياني
(٥) الإمامة والسياسة (٢ / ٢٠).
(٦) المعارف، ص (٤٠١)

المؤلف باختصار التاريخ الناصع والمشرق وسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل وهذه من أخلاق الروافض المعهودة ، نعوذ بالله من الضلال والخذلان .

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنى عشرية: ومن مكايدهم - يعني الرافضة - أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة ، فمن وجدوه موافقا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوه رواية حديث ذلك الشيعي إليه ، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته ، كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والسدي الصغير ، فالكبير من ثقات أهل السنة ، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال ، وعبد الله بن قتيبة رافضي غال ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة ، وقد صنف كتابا سماه بالمعارف ، فصنف ذلك الرافضي كتابا سماه بالمعارف أيضا قصدا للإضلال [١] .

وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء [٢] والله أعلم .

٢ - نهج البلاغة :

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة ، فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه ، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند ، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصا فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - فهو أخوه علي [٣] ، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضي: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه ، والله أعلم [٤] .

- وقال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي ﷺ ففيه السب الصراح ، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وفيه من

---

(١) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي ص (٣٢) .
(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة ، ص (٩٣) .
(٣) الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص (٥٣) .
(٤) الوفيات (٣ / ٢٣) .

التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل [١]

– **وقال ابن تيمية**: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على عليّ ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف [٢].

– **وأما ابن حجر**: فيتهم الشريف المرتضي بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي: وأكثره باطل [٣].

– واستنادا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين الموضوع فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي ﷺ [٤].

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على " نهج البلاغة " للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه، متنا ورواية وسنداً.

* كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي ﷺ وصاحب النهج يثبتها له.

* اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة "الشقشقية" التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شهر عنه عن التقشف والزهد.

* شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من العلماء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عرف به عصر الإمام علي ﷺ، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيدا عن روحه ومبناه.

---

(١) ميزان الاعتدال (٣ / ١٢٤)

(٢) منهاج السنة (٤ / ٢٤).

(٣) لسان الميزان (٤ / ٢٢٣).

(٤) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (٢٥٣)

* الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وشي العصر العباسي وزخرفه ، وما نجده في وصف الطاووس والخفاش ، والنحل والنمل والزرع والسحاب وأمثالها .

* الصيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه ، والتي لم تعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين [١] .

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي ، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه .

٣ - كتاب الأغاني للأصفهاني :

يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه ، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ فليس معنى ذلك أن يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس والكذب الفاضح والطعن والمعايب ، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني ، فقد شمر - جزاه الله خيرا - عن ساعد الجد - ليميز الهزل من الجد ، والسم من الشهد ، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد وهي تغلي في الصدور كغلي القدور ، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف وتجرح صورتهم وتشوه سلوكهم ، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات ، وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي الكبير وليد الأعظمي في كتابه القيم " الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي ، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل [٢] .

ولقد تحدث العلماء فيه قديما:

- **قال الخطيب البغدادي**: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس كان يشتري

---

(١) الأدب الإسلامي ، ص (٥٤ ، ٥٥) .

(٢) السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي ص (٩ / ١٤) .

شيئا كثيرا من الصحف ثم تكون كل روايته منها [١] .

- قال ابن الجوزي: ومثله لا يوثق بروايته ، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل شيء قبيح ومنكر [٢] . قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه ، ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به [٣] .

٤ - تاريخ اليعقوبي : ت ٢٩٠هـ :

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد ، مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي ، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية ، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ، ويسمى علي بالوصي ، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمروعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال تولى الأمر فلان ، ثم لم يترك واحدا منهم دون أن يطعن فيه ، وكذلك كبار الصحابة ، فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها ، أخبارا [٤] سيئة ، وكذلك عن خالد بن الوليد [٥] ، وعمرو بن العاص [٦] ، ومعاوية بن أبي سفيان [٧] ، وعرض خبر الثقيفة عرضا مشينا [٨] ، ادعى فيه أنه حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره وطريقته في سياق الاتهامات الباطلة هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض وهي إما اختلاق الخبر بالكلية [٩] أو التزيد في الخبر [١٠] ، والإضافة عليه أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى ينحرف معناه ، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء ، كما وصف دولتهم في كتابه

---

(١) تاريخ بغداد (١١ / ٣٩٨) .
(٢) المنتظم (٧ / ٤٠ ، ٤١) .
(٣) ميزان الاعتدال (٣ / ١٢٣) .
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٨٠ - ١٨٣) .
(٥) المصدر نفسه (٢ / ١٣١)
(٦) المصدر نفسه (٢ / ١٢٢)
(٧) المصدر نفسه (٢ / ٢٣٢ - ٢٣٨)
(٨) المصدر نفسه (٢ / ١٢٣ - ١٢٦)
(٩) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص (٤٣١) .
(١٠) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص (٤٣١) .

البلدان باسم الدولة المباركة [١] ، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية ، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابة التاريخ الإسلامي ، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات ، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي [٢] .

٥- المسعودي (ت : ٣٤٥ هـ) كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر :

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، من ولد عبد الله بن مسعود ﷺ [٣] ، وقيل إنه كان رجلا من أهل المغرب [٤] ولكن يرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[٥] ، وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال [٦] ، والمسعودي رجل شيعي ، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيا معتزليا[٧] ، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار ، فقد رأى الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[٨] وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب ﷺ في كتابه مروج الذهب اهتماما كبيرا أكثر من اهتمامه بحياة رسول الله ﷺ في الكتاب المذكور [٩] ، وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه مروج الذهب[١٠] ، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام .

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها ، والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين ، كطه حسين (الفتنة الكبرى: علي وبنوه) ، والعقاد في العبقريات فقد تورطا في الروايات الموضوعة والضعيفة وقامت تحليلاتهما عليها وبالتالي لم يجالفهما الصواب ، ووقعا

---

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ص (٤٣٢) .
(٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص (٤٣٢) .
(٣) الفهرست لابن النديم ، ص (١٧١) سير أعلام النبلاء .
(٤) الفهرست ، ص (١١٧) .
(٥) معجم الأدباء (١٣ / ٩١ - ٩٣) .
(٦) منهج المسعودي في كتابة التاريخ ص (٤٤) ، أثر التشيع ، ص (٢٤٣) .
(٧) لسان الميزان (٤ / ٢٢٥) ، أثر التشيع ، ص (٢٤٦) .
(٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١ / ٣٨) .
(٩) أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص (٢٤٨) .
(١٠) أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص (٢٤٨) .

في أخطاء شنيعة في حق الصحابة ﷺ، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه (الخلفاء الراشدين) حيث نقل نصوصا من روايات الرافضة من كتاب (الإمامة والسياسة)، وحسن إبراهيم حسن في كتابه (عمرو بن العاص)حيث قرر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا [١]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامنا: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثرا في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهورا ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي ومنهج فكري - منحرف - وهم أكثر الطوائف كذبا على خصومهم كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة كما سيأتي معنا - فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه، خاصة الشيخين أبا بكر وعمر ويسمونهما الجبت والطاغوت [٢]، وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة، أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب فنشروا بين أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة عن الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقدكان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات فبينوا الزائف من الصحيح ودافعوا عند عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان

---

(١) تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم، ص (٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) الشيعة والسنة، ص (٣٣٢) إحسان إلهي ظهير.

الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها جهد كبير وموفق ، من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيف الروايات المكذوبة القاضي ابن العربي في كتاب " العواصم من القواصم " والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله خاصة كتابه القيم " منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية " ، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب " سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام وميزان الاعتدال في نقد الرجال " ، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه " البداية والنهاية " ، وأيضا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه " فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ولسان الميزان ، وتهذيب التهذيب ، والإصابة في معرفة الصحابة" .

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها:

* الاختلاق والكذب .

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها .

* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده والتأويل والتفسير الباطل للأحداث .

* إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق المستقيمة .

* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعرالعربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده .

وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة ، كما وضعت الرافضة كتاب " الإمامة والسياسة " الذي نسبته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به كما مر معنا .

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية - فوجدوا فيها ضالتهم وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم - بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين - من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه أو التفسير الخاطئ تبعا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به

ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث وأفكارهم وتصوراتهم في البحث والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين فكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث والحقيقة أن غالبهم لم يجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه [١]، فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم [٢].

يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهن بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر التجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام جريا وراء المستشرقين في ارتيابهم حيث تحس الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم الدلائل عليه [٣].

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:

أ - التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسب ما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا أولا الواقعة التاريخية حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل، ص (٥٠٢).
(٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل، ص (٥٠٢).
(٣) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر سنة ١٣٧٤ هـ.

لابد من ثبوت وقوعها وليس وجودها في كتاب من الكتب كافيا لثبوتها [١] ، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث لتفسير الواقعة التاريخية كما ينبغي أن يكون التفسير متمشياً مع منطوق الخبر التاريخي ، وموضوع البحث ، ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة ، كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة ، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة - وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحديث وخاصة العوامل العقيدية الفكرية .

ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهادا بشريا يحتمل الصواب والخطأ ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم ، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها ، كالقرامطة والإسماعيلية ، والرافضة الإمامية والفاطمية ، والزنج وإخوان الصفا والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة ، وثورتهم كانت ثورات لإصلاح الظلم والجور .

فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام ، فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع ، ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ولا يتوقع من مطموسي الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال ولكن الأمر الذي قد يحدث استغرابا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم ، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة ، فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب مع ما يجدون من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها .

لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليه كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص (٥٠٤) .

إظهار خلافات الصحابة ﷺ وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة وبالتشكيك وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة.

لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد فإذا كان علماؤنا - رحمهم الله - قد نقدوا كثيرا من الرواة وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيليات، فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح [1].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئا من حولي وقوتي، فالله هو المتفضل وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفق، فله الحمد على ما من به علي أولا وآخرا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصا ولعباده نافعا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب، ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه، من دعائه فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة، إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

علي محمد محمد الصلابي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

* * *

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (٥٠٧).